مجلّة فكريّة نصف سنويّة محكّمة تصدرها الجامعة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا

المجلّد التاسع عشَر | 1437هـ / 2015م | العدد الثامن والثّلاثون

رئيس التحرير

أ.د. محمَّد كمال حسن

مدير التحرير

أ. م. د. محمَّد الطاهر الميساوي

هيئة التحرير

أ.د. أحمد إبراهيم أبو شوك أ. د. محمَّد سعدو الجرف أ. د. وليد فكري فارس

أ. د. مجدي حاج إبراهيم أ. م. د. إسماعيل عبد الله

د. عبد الرحمن حللي د. مصطفى عمر محمد

التصحيح اللُّغوي

أ. م. د. صالح محجوب محمَّد التنقاري

التنضيد والإخراج الفنيّ

د. منتهى أرتاليم زعيم

الهيئة الاستشارية

عبد الحميد أبو سليمان - السعودية — محمد نور منوطي — ماليزيا
أبو القاسم سعد الله — الجزائر — عماد الدين خليل — العراق
يوسف القرضاوي — قطر — فكرت كارتشيك — البوسنة
محمد بن نصر — فرنسا — طه جابر العلواني — العراق
بلقيس أبو بكر — ماليزيا — عبد الخالق قاضي — أستراليا
رزالي حاج نووي — ماليزيا — عبد الرحيم علي — السودان
طه عبد الرحمن — المغرب — نصر محمد عارف — مصر
ظفر إسحاق أنصاري - باكستان — عبد المجيد النجار — تونس

فتحي ملكاوي - الأردن

Advisory Board

AbdulHamid AbuSulayman, Saudi Arabia — Muhammad Nur Manuty, Malaysia
Aboul-Kassem Saadallah, Algeria — Imaduddin Khalil, Iraq
Yusuf al-Qaradawi, Qatar — Fikret Karcic, Bosnia
Mohamed Ben Nasr, France — Taha Jabir al-Alwani, Iraq
Balqis Abu Bakar, Malaysia — Abdul-Khaliq Kazi, Australia
Razali Hj. Nawawi, Malaysia — Abdul Rahim Ali, Sudan
Taha Abderrahmane, Morocco — Nasr Mohammad Arif, Egypt
Abdelmajid Najjar, Tunisia — Zafar Ishaq Ansari, Pakistan
Fathi Malkawi, Jordan

© 2015 IIUM Press, International Islamic University Malaysia. All rights reserved.

الترقيم الدولي ISSN 1823-1926

مراسلات المجلة Correspondence
Managing Editor, *At-Tajdid*
Research Management Centre, RMC
International Islamic University Malaysia
P.O Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6196-5541/6126 Fax: (603) 6196-4863
E-mail: tajdidiium@iium.edu.my
Website: http://journals.iium.edu.my/at-tajdid

Published by:
IIUM Press, International Islamic University Malaysia
P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Phone (+603) 6196-5014, Fax: (+603) 6196-6298
Website: http://iiumpress.iium.edu.my/bookshop

Printed by:
PERNIAGAAN NORMAHS
No 3, 5 & 7 Jalan 12/10 Taman Koperasi Polis Fasa 1, Mukim Batu,
68100 Batu Caves, Selangor, Malaysia

المحتويات

كلمة التحرير — هيئة التَّحرير — 5-14

بحوث ودراسات

نافذة على النص القرآني واستدراكات على المفسرين — التجاني عبد القادر حامد — 15-49

منطق المفاضلة الفكرية عند ابن تيمية: قراءة تحليلية في كتاب "درء تعارض العقل والنقل" — مصطفى إبراهيم الجدي وإبراهيم محمد زين — 51-79

الطب النبوي وقواعد التعامل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطبية — قاسم عمر حاج امحمد — 81-110

المخاطر القانونية في عقود المصرفية الإسلامية: المرابحة أنموذجًا — خالد عقيل سليمان العقيل وعارف علي عارف — 111-142

منتجات الضمان للتجارة الدولية في المصارف الإسلامية — رمضاني السبتي — 143-168

المساوئ الاقتصادية لنظام معدل الفائدة وأثرها في حصول الأزمات المالية الدورية ومفهوم الربح بوصفه بديلاً إسلاميا — غردة عبد الواحد وأحسن لحساسنة — 169 - 198

نقد وآراء

إشكالية الحمل على تعدد القصة في الحديث النبوي: عرض ونقد — عادل الزرقي — 199 - 231

مراجعات كتب

المقاصد الجزئية: ضوابطها، حجيتها، وظائفها، وأثرها في الاستدلاب الفقهي — جميلة تلوت — 233 - 241

ندوات ومؤتمرات

دورة مقاصد القرآن الكريم — جميلة تلوت — 243 - 248

ملخصات رسائل جامعية

ملخصات رسائل الدكتوراه والماجستير بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية — هيئة التحرير — 249 - 269

قواعد النشر وطريقة التوثيق في مجلة التجديد

التجديد مجلّة محكمة يتم قرار النشر فيها بناءً على توصية محكّمين اثنين على الأقل من أصحاب الاختصاص.

شروط النشر:

1. أن يكون البحث أصيلاً لم يُسبق إرساله للنشر في مجلّة أو جزءٍ من كتاب (وإذا حصل ذلك يُغرم الكاتب قيمة المكافأة المدفوعة للمحكمين).
2. أن يكون حجمه بين 5000 إلى 7000 كلمة، بالإضافة إلى مستخلص للبحث في حدود 200-250 كلمة باللغتين العربيَّة والإنجليزية (لا يقلّ عن 15 صفحة، ولا يزيد عن 30 صفحة بما في ذلك المراجع والهوامش). مراجعة كتاب: ما بين 1500 و4000 كلمة؛ تقارير الندوات والمؤتمرات ما بين 1000 و2500 كلمة.
3. أن يقدم البحث مكتوباً على نظام word وبخط Traditional Arabic وبنط 16.
4. أن يكون توثيق البحث حسب الطريقة المعتمدة في المجلّة.

طريقة التوثيق:

5. عند ذكر المرجع للمرة الأولى:

الكتب: اسم المؤلف، عنوان الكتاب **بخط غليظ** (مكان النشر: الناشر، عدد الطبعة إن وجد، تاريخ النشر)، ج، ص.

الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط2، د. ت)، ج2، ص214.

المقالات: اسم المؤلف، عنوان المقال "بين فاصلتين مزدوجتين"، اسم المجلّة **بخط غليظ**، السنة، العدد، الصفحة.

لوشن، نور الهدى، "إشكالية المصطلح بين النظرية والتطبيق"، **التجديد**، السنة الثامنة، العدد السادس عشر، ص159.

6. عند تكرار المرجع في الهامش التالي مباشرة تتبع الطريقة الآتية: المرجع نفسه، ج، ص.

7. عند تكرار المرجع في موضع آخر من البحث، اسم الشهرة للمؤلف، عنوان الكتاب (**بخط غليظ**)/أو المقال مختصراً، ج، ص.

8. طريقة تخريج الآيات: تخرّج الآيات في متن البحث، وليس في الهوامش، ويكون التخريج كالآتي: (البقرة: 25).

9. طريقة تخريج الحديث: البخاري، محمَّد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1404هـ/1988م)، كتاب الزكاة، باب: هل يشتري صدقته، ج2، ص85. أما رقم الحديث فذكره اختياري.

10. موضع الهوامش: تعتمد المجلّة على وضع الهوامش في حاشية كلّ صفحة، وليس في نهاية صفحات البحث.

11. لمدير التحرير، وهيئة التحرير الحقّ في إعادة المادة المقبولة للنشر إلى صاحبها لإجراء أي تعديلات يرونها ضرورية؛ للحفاظ على المستوى العلمي للمجلة

12. يرجى حفظ المقال في ملف Rich Text Format (RTF)، وإرساله إلى هذا العنوان الآتي: tajdidiium@iium.edu.my

المجلد 19، العدد 38 (2015/1437) 5-14
التجديد
حقوق الطبع محفوظة ل IIUM Press
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
ISSN 1823-1926 (Print)

كلمة التحرير

لكل أجل كتاب، كما لكل امرئ كتاب وحساب. هذا هو العدد الثامن والثلاثون لمجلة التجديد الذي موعد نشره آخر العام 2015، وتحديدًا آخر شهر ديسمبر في أقصى حالات التأخير، ولكن لأسباب فنية وإدارية تأخر صدورُه إلى ما بعد مارس 2016. وكان في الخاطر إبان الزمن الطبيعي لصدور هذا العدد تخصيصُ بعض الفقرات من كلمة التحرير للدكتور جمال محمد البرزنجي – أو أبي صهيب كما اعتدنا وأصدقاؤه أن نناديَه – الذي رافق عن كثب أيام النشأة الأولى لهذه المجلة، والذي فارق هذه الحياة الدنيا في 11 ذي الحجة 1436 (26 سبتمبر 2015) عن عمر يناهز السبعين وستة أعوام. وكنتُ قد قرأتُ ما نعاه به في اليوم نفسه ابنُ بلده ورفيقُه في المهجر الشيخ الدكتور طه جابر العلواني واستوقفني منه بصورة خاصة ما يلي: "حين بلغني نعيُه هذا الصباح قفزت إلى ذهني هذه الأبيات:

طَوَى الجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي نَبَأٌ فَزِعْتُ فيه بآمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلاً شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرَقُ بِي

وتذكرتُ القبْرين اللذين حجزناهما هو وأنا في مقبرة المسلمين في ڤرجينيا، وقررنا أن نتجاور في الموت مثل جوارنا في الحياة، وشاءت الأقدارُ أن يكون القبرُ المخصص لي إلى جانب جمال من نصيب زوجتي العزيزة الغالية منى، تحت شجرة الأوك في تلك المقبرة، ولا أدري إذا كان جمال سيُدفنُ في القبر الذي حددناه أم لا."

وهكذا سبق إلى الموت جمالٌ الأصغر سنا طهَ الذي يكبره بأربعة أعوام، كما سبقته إليه بعدة سنوات زوجُه الدكتورة منى أبو الفضل ليحتل جسدُها القبرَ الذي كان قد احتازه لنفسه ليتجاور مع جمال وليُترك تحديد قبره لقدره لا لاختياره. وفي يوم الجمعة 25 جمادى الأولى 1437 (4 مارس 2016) شاءت مشيئةُ الله أن يترجَّل طه جابر هو الآخر، لكن بعيدًا عن المكان الذي يثوي فيه جثمانَا زوجِه منى ورفيقِه جمال، حيث وافاه أجله بالطائرة في المجال الجوي لإيرلندا في طريقه من القاهرة إلى واشنطن من أجل العلاج. وهكذا إذا حضر الإنسانَ أجلُه وحانت ساعتُه، لا يُخيَّر أو يُخبر في أي مكان يموت، ولا كيف يموت، ولا في أي أرض يوارى جسدُه الثرى، ولا مَنْ يتولى أمره.

ولم تمض غيرُ ساعاتٍ على وفاة الدكتور طه جابر العلواني حتى نُعي إلى الأمة الشيخ الدكتور حسن عبد الله الترابي الذي وافاته المنية يوم السبت 26 جمادى الأولى 1437 (5 مارس 2016). وإذا كان الترابي قد شاء الله له أن يُدفن في تربة السودان بلد مولده وموطن نشأته ومسرح نشاطه وفعله حيث كان من آخر جهوده السعيُ إلى إصلاح ذاتِ بينٍ ولَمِّ صفٍّ كان شاهد عصرٍ على التئامه وانصداعه، فقد شاء سبحانه للبرزنجي والعلواني أن يُدفنا بعيدًا عن العراق بلد مولدهما ونشأتهما الأولى الذي غادراه منذ زمن بعيد ولم يعودا إليه، هروبًا من قهر وطغيان طال بهما ليلُ العراق الذي لا يبدو أنه إلى انجلاء قريب.

وهكذا قُدر لكاتب هذه السطور أن يجد نفسه إزاء سيرٍ ثلاث لرجالٍ عرفهم وجمعته بهم مسيرةُ الحياة في ظروف وصروف مهما اختلفت في سياقاتها الخاصة صورًا ومظاهر وتباينت أسبابًا ونتائج، فإنها في سياقها العام أو الكوني متفقةٌ بل متحدة دوافعَ ووجهةً وتطلعًا وعبرة. فتلك السير الشخصية تنضوي جميعُها في سيرة واحدة كبرى أو كلية هي سيرة دعوة الإسلام وحركته في العصر الحديث مجاوَبةً ومجاهَدةً لما واجه

المسلمين من تحديات وغشيهم من أوضاع وأصابهم من محن وانتابهم من أحوال جعلتهم يعانون غربة من معادلة ذات طرفيين متنافيين: إما الانبتات عن أصولهم الحضارية والانسلاخ من مرجعيتهم العقدية والقيمية والاغتراب عن هويتهم الدينية لكي "يتواءموا" و"يتكيفوا" مع حضارة العصر بمعاييرها وقيمها وأنماطها في الفكر والحياة والسلوك، فيحصلوا بذلك على الإجازة والاعتراف أو "التعميد" بكونهم "متحضرين" و"معاصرين أبناء زمانهم". وإما إدارة الظهر للحاضر ونبذ حضارة العصر وهجر ما تعج به من أنواع المعارف وطرائق الفكر وأنماط السلوك وضروب التدبير هجرَ إدانةٍ ورفض، نفسيا وفكريًا وإن انغمسوا في عالمها المادي والفني عمليًا وحسيا، للتشبث بهوية دينية تليدة واستعادة ماضي أسلاف بعيد والاحتماء بسابق إنجاز لحضارة الإسلام عتيد، فيكونون بذلك قد "حققوا" أصالتهم الحضارية والثقافية و"حافظوا" على مرجعيتهم العقدية والقيمية.

ولئن كان لكل من هذين الخيارين المتنافيين أو الموقفين المتضادين أشياعٌ به يدينون وإليه ينادون وأنصار عنه ينافحون ومن أجله يناضلون، إذ ما انفك الفريقان جميعًا يعملان – كل على شاكلته من الاغتراب وبتفنن في الأساليب والأدوات – للزج بأمة الإسلام وأطرها في مضايق ما انتحلاه، فإنهما في آخرة التحليل يجمعهما ويوحد بينهما نمطٌ من التفكير متقارب – أو قل منطق واحد – هو تنكبُ النهج القويم لبناء الذات (أو "خودي" بمصطلح محمد إقبال) وتحقيقها وتزكيتها، وذلك لما يتطلبه هذا النهجُ من أعباء الاجتهاد الفكري والتبصر العلمي والمجاهدة الروحية والمصابرة النفسية والمجالدة الاجتماعية والمناضلة السياسية والمكابدة العملية في مواجهة تحديات الواقع ومقتضيات التعامل مع أوضاعه ومعطياته والتفاعل مع مجرياته، سعيًا لتغييره وتطويعه من منطلق أصيل وبحضور أثيل، وعيًا وفعلا. فهما بذلك المنطق الناكب والسلوك القاسط لا يختلفان في النتيجة والمآل وإن افترقا في الوجهة والقصد، فأحدهما اغترابٌ في حاضر الآخر، وثانيهما اغترابٌ في ماضي الذات، وكلاهما منبتٌّ عن مقام الفعل والشهود، فلا ظهرًا يُبقي ولا أرضًا يقطع.

ولكن أمة الشهادة والعدل والقَصْد يأبى لها الله تعالى أن يحتجزها المغتربون المنبتون أو المغتربون المتنطعون، يجذبها هذا ذات اليمين ويدفعها ذاك ذات الشمال، يوردونها بذلك موارد الانسحاب والاندثار والهلاك. فما زال سبحانه يهيئ لها عبر العصور مَنْ يردها ويهديها إلى مقام العدل والقسط ومناهج الوسطية والتوازن في الاعتقاد والفكر والسلوك، ليستقيم أمرُها على الجادة، فتجتهد وتجاهد لتحيا حياتها في حاضرها غير متنكرة لماضيها، وتتطلع إلى مستقبلها غير مستغرقة في راهنها، وتتعارف مع غيرها غير متنازلة عن ثوابتها، صدوراً في ذلك كله عن عقائد الإسلام وقيمه وأحكام شريعته ومقاصدها، على قاعدة التسخير وفي أفق الاستخلاف وبروح الأمانة والشهود، فعلاً قاصدًا وجهدًا ناصبًا للتحقق بالعبودية الشاملة لله في كل شأن من شؤونها، سعيًا للتوحيد بين المثال المطلق الثابت والواقع النسبي المتغير، تكييفًا لهذا وفقًا لذاك وتنزيلاً لذاك على هذا. وإنما تحصل تلك التهيئةُ الإلهية ويتحقق ذلك الردُّ والهداية مصداقًا لما أنبأ به المصطفى ﷺ ناموسًا عاما أو سنة كونية في حياة الأمة الشاهدة تعصمها من الانحراف والاندثار، حيث قال الصادق المصدوق في الحديث المشهور الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».[1]

وتعكس السيرُ الشخصية لهؤلاء الثلاثة الأعلام الذين اخترمهم الموتُ في زمن متقارب طرفًا من تلك السيرة الكلية فيما انتهضوا له من مهمات وحملوه من أعباء في مجال العمل للإسلام والدعوة إليه والسعي لإصلاح أحوال الأمة أينما ارتحلوا وحيثما انتجعوا، في سفرهم والحضور، فكرًا ونظرًا، وحوارًا وجدالاً، وتخطيطًا وتنفيذًا، وتنظيمًا وتسييرًا، كل حسب ما أتيح له من إمكانيات فيما تقلبوا فيه من أوضاع وواجهوه من

[1] انظر بحثين ماتعين حول هذا الحديث تحقيقًا لمتنه وسنده وبيانًا لدلالته ومقتضاه في: ابن عاشور، الشيخ الإمام محمد الطاهر، **جمهرة مقالات ورسائل**، تحقيق محمد الطاهر الميساوي (عمان/الأردن: دار النفائس، ط1، 2015/1436)، ج1، ص127-202؛ القرضاوي، يوسف، **من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا** (القاهرة: دار الشروق، ط2، 2005/1426).

عوائق ومشكلات. ولسنا هنا في مقام التأريخ لتلك السير سيرة سيرة، ولا وصف شخوص أصحابها شخصًا شخصًا، ولا تعداد مآثرهم مأثرة مأثرة، بل يغنينا عن ذلك في هذا المقام أن نقف مع كل منهم وقفةً سريعة نستجلي فيها – بصورة عامة – منزلته من السياق الكلي لحركة الإسلام في عصرنا، عسى أن يكون في ذلك حفزٌ لمن أوتي رهافةَ الأديب وحسَّ المؤرخ وبصيرةَ الناقد فينهضَ بكتابة سير هؤلاء وأمثالهم من أعلام الأمة المجددين لفكرها وحياتها والباعثين لنهضتها، ذُخرًا وعبرةً لقادم أجيالها وحاضرها.

ولنبدأ بآخرهم رحيلاً عنا في حركة قهقرى إلى أولهم مفارقة لدنيانا. سطع نجمُ حسن الترابي (1932-2016) في خضم أحداث كبرى قلبت الأضاعَ السياسية في السودان من نظام حكم عسكري إلى نظام حكم ديموقراطي تعددي، تلك هي أحداث ثورة أكتوبر 1964 التي أخرجت خريجَ أوكسفورد والسوربون من مدارج كلية القانون بجامعة الخرطوم — التي لما يمض عليه فيها إلا زمنٌ يسير – إلى ساحات العمل العام ومنابر النضال السياسي والفعل الاجتماعي والتغيير الثقافي، متبوئًا موقعَ القيادة والريادة للحركة الإسلامية في السودان — أو لأهم فصيل من فصائلها وأفعل تيار من تياراتها — حيث تقلب معها وبها (خلال خمسة عقود أو تزيد) في أطوار تنوعت وتباينت بين المحنة والمنحة، والضيق والشدة، والعسرة والرخاء، والانحسار والانتشار، والمسالمة والمصادمة، والمعارضة والمشاركة، والاستضعاف والتمكين، ليس فقط مجاوَبةً في كل ذلك لما نجم من تحولات في السياسة ونظم الحكم في السودان، وإنما إسهامًا فعالاً كذلك في تسبيب حصول تلك التحولات.

ومهما تكن المنزلةُ التي احتلها حسن الترابي خلال كل تلك الأطوار زعيمًا سياسيا على مستوى السودان، وقائدًا تنظيميا للحركة الإسلامية فيه، فإنه ما كان يتسنى له ذلك من دون ما بلغته تلك الحركةُ خلال مراحل تطورها من نضج فكري وإشعاع ثقافي وتماسك تنظيمي وتوسع اجتماعي وحضور سياسي، الأمر الذي كان لأطروحاته الفكرية التجديدية ومبادراته السياسية الإستراتيجية وشخصيته "الكارزمية"

الأثر البالغ في حصوله وصيرورته. فالترابي لم يكن مجردَ زعيم سياسي ولا مجردَ قائد تنظيمي من النمط الغالب السائد في الحركات الإسلامية والأحزاب الوطنية في بلاد العروبة خاصة والعالم الإسلامي عامة، بل هو أولاً وقبل كل شيء عالم متمكّنٌ فيما نهل من معارف مقاصد وسائل، ومفكّرٌ محنك ذو نظر مستقل، وهو منظّرٌ ذو رأي أصيل ومثقف حاذق ذو بصر بالواقع، وتلك كلها خصالٌ بوأته منزلةً جعلت حضورَه وتأثيرَه الفكريين يتجاوزان حدودَ السودان، بقطع النظر عن مواقف الناس منه خلافًا ووفاقا. ويشهد لتلك المنزلة وهذا الحضور والتأثير ويعضّدها التراثُ العلمي والفكري المجدِّد الذي تركه متوَّجًا بتفسير للقرآن، يحكمه جميعًا ويصبغه، على تنوع مناحيه، رؤيةٌ توحيدية للعقل والوحي والعلم والعمل والسلطان والوجدان، ونظرٌ تكاملي في العلوم والمعارف تأصيلاً وتنظيراً.

أما طه جابر العلواني (1935-2016) فقد كان حضورُه لأول العهد في إطار الوسط العلمي الجامعي أستاذًا مبرزًا وعالمًا محققًا قد لا ينتبه إليه غالبًا إلا من انتمى إلى ذلك الوسط، ولكن صلته القديمة بحركة الإسلام – التي كانت سببَ تغربه عن العراق منذ 1969 – دفعت به إلى مجال أو أُفُق من العمل للإسلام والسعي لإصلاح أحوال أمته لم يكن يَلْقَى ما يناسبه من الاهتمام والعناية فيما اعتادت التياراتُ والتنظيمات المختلفة للحركة الإسلامية الانشغالَ به في غالب أحوالها، ذلكم هو مجال العمل الفكري والمعرفي المنهجي من أجل إصلاح التعليم وإخراجه من حالة الجمود والتقليد التي صيرته عقيمًا لا يخَرِّجُ علماءَ متضلعين محققين، ولا يصنع مفكرين محنكين مبدعين، وإنما هي أفواجٌ من حَمَلة الشهادات تَتَابع إثر أفواج لتملأ وظائفَ وتشغلَ مواقع وتعيد إنتاجَ ما لُقنته معلومات محفوظة ونصوصًا مسموعة، لا لتطور العلوم في موادها ومناهجها وتطبيقاتها، أو تجدِّدَ المفاهيم في دلالاتها وعلائقها ووظائفها، أو تسبر الواقع أسبابًا وبواعث وصيرورات ومآلات، أو تجترح لمشكلاته الحلولَ وسائل وغايات، أو تشحذ العقول للنظر والتفكر والتدبر. ومَنْ خرج عن هذا النمط السائد والسمت العام، فليس الأمر في شأنه

بعائد إلى أوضاع ذلك التعليم فلسفة ونظمًا ومادة ومنهجًا، وإنما هم أفذاذٌ سَمَوْا بأنفسهم عن الركون إلى رسوم مؤسسات تعليمية هي واحدة من صنفين: صنف مدبر عن حاضر العالم منطوٍ في ماضي الذات، وصنف منبتّ عن جذور الذات منصهر في حاضر الآخر، وكلاهما صورة لنمطيْ الاغتراب اللذين سبق الحديثُ عنهما، يجسدان التقليدَ العقيم الذي لا إنتاج معه ولا إبداع، وإنما اجترار وتكرير. بل لقد انضاف إليهما في العقدين الماضيين خاصة صنفٌ ثالث عابث بالعلم والمعرفة والفكر لا غرضَ لمنشئيه – في الأغلب – غير التجارة والاسترباح!

ويمكن أن نعدَّ المؤتمرَ العالمي الأول للتعليم الإسلامي الذي انعقد بمكة عام 1977/1397 المناسبة التي أخرجت العلواني من المحيط الجامعي المحدود الذي كان من قبلُ يتحرك فيه بوصفه أستاذًا في الفقه وأصوله، مثلما أخرجت الترابيَّ ثورةُ أكتوبر. ولقد كان خروج العلواني في ركب ما أصبح يُعرف بحركة أو مدرسة "إسلامية المعرفة"، فسار رفقةَ طائفةٍ متزايدة من العلماء والمفكرين والباحثين تنادوا – من مواقع مختلفة وبتكوين علمي متنوع وخبرات عملية متباينة في الفروع الأساسية للمعرفة – لإعادة النظر في أوضاع التعليم في العالم الإسلامي والبحث في سبل إصلاحه بصورة منهجية تنهض على قاعدة من رؤية الإسلام للوجود والكون والحياة وفلسفته عن الإنسان مبدأ ومنزلة وغاية ومصيراً: كائنًا مكرَّمًا مكلَّفًا مسؤولاً. وفي أفق هذه الوجهة وسعيًا نحو هذه الغاية الكبرى نذر طه جابر حياته منذ أواخر السبعينيات من القرن الميلادي الماضي، في إطار المعهد العالمي للفكر الإسلامي وخارجه، داعيًا إلى الاجتهاد ومحرضًا على التجديد، محللاً وناقدًا ما عليه ثقافة المسلمين من ركود وعقولهم من جمود، ناعيًا على العلماء ما هم فيه من تقاعس وركون، متوسلاً في ذلك كله بما يصنف من كتب، وينشر من مقالات، وما يلقي من محاضرات ويخوض من مجادلات في المنابر والندوات، غير متردد ولا هياب في الصدع بما يراه ويؤمن به، يجوب من أجل ذلك عالم العروبة والإسلام من المغرب إلى إندونيسيا وقارتي أوروبا وأمريكا من باريس إلى فانكوفير.

ومثله مثل الترابي، كان القرآنُ للعلواني قاعدةَ الانطلاق ومرجع النظر، يتدبره بحثًا عن قيمه العليا واستكشافًا لأصول منهج التفكير وأسس المعرفة فيه، من أجل تأصيل قضايا الفكر وفلسفة التعليم وغائية الاجتهاد وصبغة التجديد، تعاضدًا بين العقل والوحي، وتكاملاً وتضافرًا بين العلوم والمعارف.

فإذا جئنا إلى أول الثلاثة وفاة لا أدناهم منزلة، فما عسانا نقول؟ إذا كان جمال البرزنجي (1939-2015) قد ولج ساحة العمل للإسلام بتكوين علمي نظامي غير ما توفر عليه الترابي والعلواني (الفقه والقانون والأصول خصوصًا وعلوم الشريعة عمومًا)، فإن ما تلقاه من علوم كونية واجتماعية (هندسة الكيمياء وتقانة الوقود والإدارة) كان له خيرَ زاد وظفه في خدمة ما آمن به من نهج في الإصلاح والبناء، كما كان شأنُ مالك بن نبي مع الرياضيات وهندسة الكهرباء. لقد كان جمال البرزنجي حقا مثقفًا من طراز عال، على الرغم من أنه لم يُعرف بكثرة كتابة ولا تأليف، حباه الله ذكاءً وفطنة وهدوءًا ولباقة في الكلام وصبرًا على المثابرة ومهارة في التدبير والتسيير وقدرة على اقتناص الفكرة وترجمتها إلى فعل، وهي خصال زادها زكاءً وفعالية استعداد دائم للتعلم وحرص على تطوير الذات. وقد أهَّل ذلك العلمُ وتلك الثقافة وهذه الخصال صاحبَنا ليكون في مقدمة الفئات المؤسسة للعمل للإسلام في الغرب عامة وفي شمال القارة الأمريكية خاصة على قواعد صلبة من منهج علمي يستبصر الواقع الحاضر ويستشرف المستقبل في إطار رؤية كلية لمقاصد الإسلام وقيمه وإدراك لأحوال المسلمين وحاجاتهم في إطار علاقاتهم بالمجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها.

وقد تنوع عطاء جمال البرزنجي وإسهامه في ذلكم السياق بين المبادرة والتأسيس، والمشاركة والتأييد، والمناصرة والتعضيد، والقيادة والإدارة والتدبير. فما من مؤسسة أو منظمة من المؤسسات والمنظمات الأساسية التي زاد بها الإسلام حضورًا ووجود المسلمين تمكنًا في المجتمع الأمريكي معنويًا وماديًا منذ أوائل السبعينيات من القرن العشرين، إلا وللبرزنجي آياد بيضاء عليها، يرفدها إن افتقرت، ويدفع عنها إن هُضمت، وينصحها

ويرشدها إذا تطلبت، وينسج علاقاتها ويمتن صلاتها بمحيطها إذا استعصت، ويقودها ويديرها إذا احتاجت، لا يتنكب عن إسداء الرأي وعن البذل في كل شأن يرى فيه نصرة للإسلام وخدمة للإنسان. فكان فعلاً أيقونة من أيقونات العمل للإسلام في بيئة كان الإسلام فيها غريبًا والمسلمون قلة يعيشون في هامش المجتمع.

ولم يقتصر إسهامُ البرزنجي في النهوض بأحوال المسلمين على الولايات المتحدة الأمريكية التي كان بها مستقَرُّه مذ هجر العراق هجرةً لا عودة بعدها أواخر العقد السادس من القرن العشرين، بل امتد إلى أقاصي آسيا حين انتدبته الجامعةُ الإسلامية العالمية بماليزيا من مهامه في الإدارة المركزية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، فجاءها ليتولى إدارةَ أكبر كلية فيها والعمل على تطويرها – كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية – لكونها المختبر الحقيقي لفكرة إسلامية المعرفة وتكامل العلوم التي تبنتها الجامعةُ المذكورة فلسفة ومنهجًا ورسالة من أجل بناء نموذج جديد يتجاوز ما سبق وصفُه من أحوال التعليم في العالم الإسلامي. ولن يستطيع مؤرخٌ أن ينكر أو يتجاهل أن المدة التي كان البرزنجي أثناءها عميدًا للكلية المذكورة (1994-1998) قد شهدت تركيزَ تلك الكلية وتوطيد دعائمها، وخاصة بما أسس فيها من بنية إدارية أقام عليها صرحَ الدراسات العليا التي قفزت من برنامج يتيم محدود للماجستير في الدرسات الإسلامية إلى برامج تشمل كلَّ التخصصات في مرحلتي الماجستير والدكتوراه (في الدراسات الإسلامية واللغوية والعلوم الإنسانية والاجتماعية سوى القانون والاقتصاد)، فزاد بسبب ذلك الإقبالُ على الانتساب إلى الكلية من داخل ماليزيا وخارجها واستقرت مكانتها. وقد كانت تلك خطوةً استشرافية جريئة مكنت الحضور المادي والمعنوي للكلية، وحمتها من أن تعصف بها أهواء السياسة التي غالبًا ما تعصف أولَ ما تعصف بما هان شأنُه وخفت مؤنته.

تلك وقفاتٌ مع سير ثلاث لرجال كان لهم شأن وإسهام في النهوض بالعمل للإسلام وإصلاح أحوال أمته، لم نقصد منها لا تأريخًا ولا استقصاء ولا تفصيلاً، وإنما

هي نوع من شهادة نؤديها حقا لهم ولأمتهم علينا، وحرصًا على إبراز طرف من التحديات التي واجهت الإسلام وأمته في العصر الحديث والتماسًا للحكمة والعبرة فيما حققه هؤلاء الثلاثة من شهادة على عصرهم توطيدًا لحضور الإسلام فيه حضورًا راشدًا فاعلاً، تجديدًا في طرائق التفكير، وتطويرًا وابتكارًا في أساليب العمل، وإدراكًا للحاجات، وترتيبًا للأولويات.

ألا رحم الله أبا صهيب وأبا أحمد وأبا أمامة، وأجزل مثوبتهم وأعلى منازلهم، ونفع بما تركوا للأجيال الخالفة من تراث علم وذخيرة خبرة. والحمد لله رب العالمين.